جامعة القادسية
كلية الآداب

اليهود في المجتمع الأندلسي

إعداد

الأستاذ المساعد

جواد كاظم شايب الجنابي

المقدمة:

لابد من تسليط ا الضوء على الديانة اليهودية تعريفاً لها وبياناً لأسمائها ، إذ بدون هذه مقدمة تبدو الدراسة ناقصة ولا يستطيع القارئ إدراك كنه الديانة اليهودية وفهم عقائدها ومنظوماتها الفاعلة على الساحة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية قبل أن تلعب السياسة فيه فعلها وتصرفه عن منظوره التعايشي على محدودية ذلك المنظور.

اولاً / تعريف الديانة اليهودية: هي ديانة العبرانيين المنحدرين من نسل إبراهيم (ع)، المعروفين بالأسباط من بني إسرائيل وهم الذين أرسل الله إليهم موسى (ع) مؤيداً بالتوراة ليكون لهم نبياً[١].

وهذا التعريف يحدد من أعتنق هذه الديانة من سلالة إبراهيم الخليل (ع) ابتداءً من ولده اسحق أو حفيدهُ يعقوب (إسرائيل) وما تناسل من الأسباط الاثني عشر[٢]، فأطلق الاسم على جميع الأسباط ومن تناسل من أولادهم وأحفادهم ثم إلى فئة منهم إلى أن انقرضت، فعمَّهم الاسم جميعاً[٣].

ثانياً / أسماء اليهود: أطلقت على اليهود أسماء عدة ورد بعضها في كتب اليهود المقدسة أو في كتبهم التاريخية أو في القرآن الكريم واليك تفاصيلها:

١- **العبرانيون** (نسبة إلى العبراني) وهو الاسم الذي أطلق على نبي الله إبراهيم(ع) [١] أو أصل التسمية مأخوذ من عبور إبراهيم الخليل(ع) نهر الفرات أو الصحراء ولقب بـ(إبرام العبراني) ويقصد به (إبرام السائح أو المهاجر)[٢] واتخذ بنو إسرائيل هذا الوصف لأنفسهم وللغتهم[٣]. وقيل أنها أطلقت على الجد السادس لإبراهيم (ع)[٤].

ويرى الدكتور سوسة* أن سبب هذه التسمية تعود إلى قبائل تعرف بـ(العبيرو أو الهبيرو)[٥] المنتقلة بين شمال الجزيرة العربية وأرض كنعان وصحّفت هذه الكلمة إلى (عبري أو عبراني) فأطلقت فيما بعد على أتباع موسى (ع). وهذا المعنى قريب من رأي عالم الأديان (ولفنسون)[٦] الذي ارجع الموطن الأصلي لبني إسرائيل إلى كونهم من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكانٍ محدد، وهي مشتقة من الفعل الثلاثي (عبر) بمعنى قطع رحلة من الطريق وهناك أراء أخرى يمكن مراجعتها في مظانها[٧].

٢- **بنو اسرائيل***: أطلق القرآن الكريم هذه التسمية على ابناء يعقوب (إسرائيل) قال تعالى **(وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ)**[١] وأظهرت الاكتشافات الأثرية أن كلمة إسرائيل كانت اسماً لموضع في فلسطين وهي تسمية كنعانية، كما أنها وردت في الكتابات المصرية القديمة التي ترجع إلى عصر ما قبل موسى (ع)[٢]،

ويفتخر اليهود بتسميتهم (بنو إسرائيل) لما جاء في التوراة من تبجيل لإسرائيل إمام الله تعالى[٣]. كما يطلق لفظ (بنو إسرائيل) على أبناء يعقوب وكل من انتسب إليهم[٤]، ولكن حقيقة

الأمر أن سبب تسمية (بنو إسرائيل) بهذا الاسم كان قبل نزول التوراة، فيعقوب(ع) تسمى به وهو سابق لعصر موسى(ع) وليس هناك من أقوام غير أولئك حملوا هذا الاسم على مر التاريخ.

٣- **اليهود:** وردت هذه التسمية في القرآن الكريم في مواطن كثيرة منها قوله تعالى **(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا)**[٥]، ولفظ اليهود مأخوذ من ((هاد يهود أذا تاب هَوْدا، وسمّوا به لأنهم تابوا عن عبادة العجل وفي القرآن الكريم قالوا (إنا هُدنا إليك)[٦] وقيل أنها أطلقت على جماعة (يهوذا)* الذين رحّلهم نبوخذ نصر إلى بابل في القرن السادس قبل الميلاد[١]، إما موسوعة الكتاب المقدس فتنسب لفظ (اليهودية) إلى اليونان والرومان اللذين أطلقا على يهوذا ملك المملكة اليهودية جنوب فلسطين وعاصمتها أورشليم[٢].

٤- **أهل الكتاب:** وهي عبارة أطلقها القرآن الكريم على من آمن بالكتب السماوية السابقة وسماهم أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى باتفاق، وألحق بهم الصابئة وعومل المجوس كما يعامل اليهود والنصارى[٣]، قال تعالى **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**[٤] وقال تعالى **(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ)** [٥]، خلقت العقائد اليهودية مجتمعةً، نسقاً دينياً، مغلقاً ضمن اطار اجتماعي، ينظر في تعامله مع الاخرين بمنظار تمليه عليه عقائده في الانعزال والانفصال عن ركب التوجه الحضاري الانساني، لديمومة التعايش وفق المنظور الرباني الذي ينطلق من وحدة الوجود الانساني كأمة خلقها الله متساويةً أمامه في الحقوق والواجبات فلا فرق بين هذا الشخص وذاك، أو بين هذا المعتقد وتلك الديانة بقدر تعلق العقيدة والمبدأ بالتوحيد والتمسك برسالات الانبياء وتعاليمها، التي تحث على تقوية الرابط الانساني خدمة لخلق حياةٍ يعيش فيها المرء بكرامته الانسانية. واليهود في عقائدهم لم يفيدوا من ((الرؤية التوحيدية للقداسة))[١] التي دعا اليها انبياؤهم وابعاد الشرك عن معتقداتهم التي جلبت لهم تعقيدات عدة، اثرت في مجمل تشريعاتهم، وانعكست سلباً على تصرفاتهم، مع بعضهم[٢] ومع الاغيار مما شكل في اليهودية كمجتمع تركيباً جيوبولوتيكيا* تراكمياً استوعب عناصر ثنوية عديدة ظهرت في الاستكشافات الحديثة في مخطوطات البحر الميت[٣] تفجّرت في تراثهم الديني، فعمدت الى تشتيت اراءهم وتضارب مواقفهم، حيال الاله الاوحد. ورغم ان حاخاماتهم قد احلّوا لأنفسهم اخذ زمام مبادرة الانبياء بتحويلهم ((تقاليد النبوة واضفاء طابع حلولي عليها من الداخل مع ظهور مفهوم الشريعة الشفوية التي جبَّت الشريعة المكتوبة فعاد الحلول بصورة قوية واصبح الحاخام حامل رسالة اهم من الرسالة المكتوبة))[٤] فاصبح الحاخام هو الوسيط بين العبد وربه وأمسى كلامه الشفوي المفسر لاحكام الشريعة اعظم من الشريعة المدونة لدرجة آمنوا فيها بموجب التراث الشفوي ((ان الشعب اليهودي كله سيصبح شعباً من الانبياء أي ان الحلول سيشمل

الشعب كله ويصبح جزءً من الاله))[1] وهذه النظرة التحليلية للفهم العقدي والتشريعي تعطينا بوضوح ان الهوية اليهودية تريد ان ترسم لها ملامح مقدسة مصطفاة تتسم بالفوقية في كل شيء يجعلها في قمة الهرم البشري، صفاء ومنزلة ونزاهة، مدعمة بنظرة حلولية صاغت مفاهيم دينية توحي، بأعتبارهم شعب الله المختار الوحيد، الذي يجب ان يسخر له جميع الخلق خدمة وولاءً، ومثل هذا المعتقد لا يخدم مسيرة التعايش الانساني لانها ستتقاطع معها كلياً. فالخلق كلهم متساوون امام الله ولا فضل لاحد على اخر الا بالعمل الصالح والتقوى ولم يتعظ اليهود من دروس التاريخ التي اعطتهم فرصاً للتعايش مع الاقوام الوثنية كالتي حصلت في بابل زمن الكلدانيين (٦١٢-٥٣٩ق.م) بعد ان منحوهم وظائف تمرسوا من خلالها على الاندماج معهم فتعلموا منهم اساليب الحكم والسياسة واتقنوا الحرف والصناعات المختلفة فعظم شأنهم بين البابليين[2] لكنهم بدلاً من تسخير تلك الافادة اتجهوا الى عبادة الإلهة الوثنية فعمد انبياء المهجر اليهود الى تحذيرهم من ذلك، والرجوع الى عبادة الله والتمسك بالشريعة. وخلاصة القول ان على اليهود ان يرجعوا الى مصاديق الخير والسلام في التوراة الصحيحة وان ينبذوا كل النصوص الداعية الى الاستعلاء على الآخرين، وان يوظفوا في تعاملهم الحياتي صفات الإنسان الموحد المؤمن بشريعة السماء التي تحث على الاخوة الانسانية والعيش بسلام قال تعالى (يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) [3].

هذا بحث يدور حول اليهود في المجتمع الأندلسي ،حيث قسمت بحثي الى ثلاث مباحث ،تناولت في المبحث الأول : وصول اليهود الى الأندلس وكان دور اليهودي الاقتصادي في المجتمع الاندلسي عنوانا للمبحث الثاني وتناولت في المبحث الثالث ،عصر النفوذ اليهودي في الاندلس ونهايتهم وانه موضوع مهم لانه يطلعنا على خلفية اليهود السكانية من حيث النشأة والتطور والانتشار وكيفية الاندماج مع الشعوب رغم كونهم أقلية في أغلب المجتمعات التي يستوطنوها وتقلدهم مناصب ادارية وسياسية عليا في الدولة وأعتقد ان الجانب المالي واحتكاره من قبل اليهود يجعلهم المتنفذون في أغلب مفاصل الدولة.

ولاقيت صعوبة في جمع المادة الأولية وقلة المصادر والمراجع التي تبحث هكذا موضوع وخلال حدود البحث ،بالإضافة الى عدم فهم بعض المصطلحات التي أفردها بعض المراجع ولاسيما الاستشراقية منها .

واعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:الفصل في الملل والأهواء والنحل وجمهرة انساب العرب لابن حزم الاندلسي، والبيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى ،وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، وصورة الأرض لابن حوقل،ونفح الطيب

للمقريء،والعبر لابن خلدون،والمفتبس لابن حيان القرطبي ،والاحاطة في اخبار غرناطة للسان الدين،وتاريخ الأندلس لاشباخ،وتاريخ يهود اسبانيا لاسطور،وثلاث رسائل أندلسية لليفي بروفنسال وعامة قرطبة في عصر الخلافة لأحمد ألطاهري وغيرها .

المبحث الأول : وصول اليهود إلى الأندلس :

يعد اول وصول لليهود الى الأندلس ايام الفينقيين في القرن العاشر قبل الميلاد ويعتقد الدفعة الثانية وصلت زمن نبوخذنصر عام ٥٥٨ قبل الميلاد واستمر تدفقهم خلال حكم القوطيين واستمر الى عام ٥٨٩ اذ تدهور وضعهم بسبب تحول مذهب القوطيين من المسيحي الاريوسي الى المسيحي الكاثوليكي ولم يستقر وضعهم الا عند وصول العرب المسلمين فاتحين للاندلس عام ٧١١ على يد طارق بن زياد على الرغم من استخدام جماعة منهم من قبل شارلمان في جبال البرنس ليشكلوا حاجزا ضد التقدم الاسلامي في المنطقة واعطوا امتيازات كثيرة منها امتلاك الاراضي بالاضافة الى الوظيفة القتالية التي تعمل بالزراعة ' ثم تحولوا الى عونا للفاتحين عند فتح البيرة وغرناطة فقاموا على سبيل المثال بثورة في طليطلة وفتحوا ابوابها امام الفاتحين [١].

وبدا المسلمون بتوطيد اليهود بعد فتح المدن لحراستها حتى يتمكن المسلمون من تكملة الفتح نظرا لقلة اعداد جنود المسلمين اذ شهدت مدن قرطبة وغرناطة وطليطلة واشبيلية انتشار اليهود فيها مما اثار حفيظة السكان الاصليين وهذا مايؤكد الفتك باليهود من قبل السكان المسيحيين بعد طرد المسلمين منها [٢].

واستفاد اليهود بعد الفتح من بيوت وثروات النبلاء بعد ان تركوها وفروا لذا تعد مثل هذه الموارد المصدر الرئيس لراس المال اليهودي الذي اخذ طريقه الى الثورة التجارية التي حدثت وامتدت الى العالم الاسلامي وبذلك بدات عملية الانصهار الحضاري والاجتماعي لليهود لاسيما خلال وصول عبد الرحمن الداخل وابنه هشام (٧٥٧ – ٧٩٥) اذ قاموا بالتدريس في مدارس الدولة رغم التمرات التي قام بها اليهود بالاشتراك مع المسيحيين وقد قضى كل هذه التمردات بسرعة واخر تمرد كان في طليطلة عام ٨٢٨ [٣].

وشهد القرن العاشر الميلادي تحسن اوضاع اليهود المعنوية والروحية والمادية بسبب الانصهار بالحضارة الاسلامية من خلال تعريب اسمائهم ولغتهم وادابهم الدنيوية والدينية اذ وصل اليهود الى مكانة عالية رفيعة فعملوا في جميع الوظائف المالية والادارية حتى وصلوا الى البلاط واشتغلوا بالتجارة الدولية والمحلية اذ وصلت تجارتهم الى حدود ودخلت الى اوربا فقد كانوا يجيدون العربية والعبرية وبعض اللغات الاوربية لذا بزرزت مهنة الترجمة فكانوا حلقة الوصل بين العالمين الاسلامي والمسيحي، واحتكروا تجارة العبيد والصباغة [٤].

اما كيف كان اليهود زمن الفتح الإسلامي للأندلس ينتشرون فانهم انتشروا في معظم أرجاء شبه الجزيرة الأيبيرية، وتركزوا في المدن الرئيسة بعيداً عن القصبات، وعندما فتح المسلمون الأندلس قاموا بتغييراتً على التوزيعات القديمة لليهود فوزعوهم إلى قصبات المدن عند فتح قرطبة وغرناطة وإلبيرة وغيرها، وان هدف المسلمين هو اشراكهم في مهنةِ الحراسة، وأن إقامة اليهود قبل الفتح الإسلامي خارج أسوار المدن المهمة لم يكن باختيارهم، وإنما أجبروا عليها من قبل القوط، فان اليهود يميلون إلى حماية أنفسهم بالحصون والأسوار منذ كانوا في البلاد الاسلامية وخير دليل على ذلك حصن خيبر وهناك العديد من الإشارات التاريخية على وجود أحياءٍ يهودية في المدن الأندلسية، وأنها استمرت طيلة الحكم الإسلامي للأندلس.

وهناك إشارات أخرى تدلُّ على وجود الحي اليهودي في قرطبة عام ٩٥هـ=٧١٣م وخير دليل على ذلك وجود "باب اليهود" في قرطبة، وفي مدن أندلسية أخرى كسرقسطة"، يؤكد وجود الحي لليهودي في تلك المدن .

وتمتع اليهود في ظل حكم المسلمين بحرية السكن خارج الحي اليهودي، إذ جاوروا المسلمين في مساكنهم، وأنهم امتلكوا دوراً وأراضي بين دور المسلمين وأراضيهم في القصبات.
وأطلق الحي اليهودي في بعض المدن الأندلسية اسم "الجماعة"، وهو اختصار لـ"جماعة اليهود"، وعندما يكون عدد اليهود في المدينة كبيراً فإنَّ حيَّهم فيها على الأغلب يكون كبيراً، وهو يحتوي في هذه الحالة على حارات صغيرة تُسمّى "الدروب". أمَّا الأحياء الصغيرة فهي عبارة عن مجاميع من المنازل المحيطة بزقاق مسدود الطرف في العادة، وكانت نهايته المفتوحة تغلق بباب يقفل في المساء حفاظاً على أمن السكان، وكان السكان في الواقع يستأجرون الحراس الذين تصحبهم الكلاب والمصابيح، وكانوا يمرون في دوريات طوال الليل، وقد أطلق على الحارس اسم "الدرَّاب". وقد أحبَّ اليهود والنصارى طريقة المسلمين في الحفاظ على أسرار بيوتهم، وقد تبنوا هذه الطريقة داخل أحيائهم(٥).

كانت قرطبة اهم مدن الاندلس وقاعدتها وهي تقع في وسطها ، لذا نجد انتشار اليهود بصورة كبيرة بتلك المدينة لاسيما في الحي اليهودي الذي يقع في في الجهة الجنوبية الغربية منها، بالقرب من قصر الخلفاء والجامع الكبير، الذي يسمى الى الآن بالحي اليهودي، الذي اخذ طابعه بضيق شوارعه، ونتيجة التطور الكبير في كل ميادين الحضارة والمعرفة ولا سيما في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، انتشر اليهود في قرطبة، ولأن الحي اليهودي كان مزدحماً باليهود، فقد سمح لهم بالسكن في احياء آخرى شمال المدينة، وكان الانتشار الثاني في مدينة طليطلة في الحي اليهودي في الجزء الغربي من المدينة ولازالت شوارعها وساحاتها تحمل اسماء يهودية مثل شارع صاموئيل هاليفي، وشارع دي لا جوديرا، (شارع الحي اليهودي) وعملوا بالتجارة وامتلكوا المحال التجارية لاسيما تجارة العطور، واستقر كثير من اليهود في المنطقة الجنوبية من

الأندلس، وقد رغب اليهود بالإقامة فيها لخصوبة أرضها، واعتدال مناخها، ووقوع عدد من مدنها على الطرق التجارية والبحرية المهمة، وبسبب كثرة سكانها، وقربها من العاصمة قرطبة، ولقربها من الشمال الأفريقي التي يأتي منها وعبرها معظم المهاجرين اليهود إلى الأندلس. وقد تركز يهود جنوبي الأندلس في كل من غرناطة، وأليسانة، ومالقة، وبجانة، والمرية[٦].

وتنعم اليهود في غرناطة، بالتسامح والعدل والرخاء، وانتشرت أخبار ذلك التسامح بين اليهودِ في كل مكان، فأخذوا يتدفقون إلى مدن الأندلس عبر مضيق جبل طارق، وكان لغرناطة نصيب وافر من هؤلاء المهاجرين باعتبارها من المدن الأندلسية الكبرى الواقعة في طريق اليهود العابرين إلى الأندلس من الشمال الأفريقي، ويقدر عددهم فيها في عهد (باديس) الذي يعد افضل عهودهم ، و تزايدَ عدد اليهود في غرناطة بشكلٍ كبير خلال حكم وزارة اليهوديين إسماعيل بن يوسف بن نغدلة وابنه يوسف، وفي عهد بني الأحمر، كانت غرناطة مقرا لليهود وقد استمر ذلك إلى أن سقطت غرناطة في يدِ النصارى الأسبان سنة ٨٩٧هـ=١٤٩٢م، اذ قام الملك القشتالي فرديناند بطردِ اليهودِ وهدم الحي اليهودي، وبنى مكانه كنيسة سَّماها على اسم مريم العذراء.

وتمتعت أليسانة التي تقع جنوب مدينة قرطبة، على بعد نحو أربعين ميلاً منها، بدور المركز الروحي لليهود في الأندلس، وكان الحي اليهودي في مالقة في العهد الإسلامي يقع في الجزء الشرقي من المدينة، وكانت المقبرة اليهودية على منحدرات جبل الفارو. وكانت مالقة ملاذاً لإسماعيل بن نغدلة ويهودٍ آخرين، حيث وصلوا إليها من قرطبة سنة ٤٠٤هـ=١٠١٣م، بعد الاضطرابات التي أعقبت سقوط الخلافة في الأندلس [٧].

وقد عاش اليهود في إشبيلية خلال مُدَّة الحكم الإسلامي لها في مواقع عديدة، فقد أقاموا في الجانب الغربي من المدينة وكانو طائفة يهودية كبيرة تضمُّ عدداً من العائلات المهمة، مثل عائلة تيبون وأبرابانيل وأبو درهم، وابن الباطوم وابن كامنيل وابن المهاجر، ويزعم اليهود بأن بعض عائلاتها تنتسب إلى النبي داود عليه السلام وأنهم جاءوا إليها بعد التدمير الأول للهيكل سنة ٧٠م ، وقد عاشت في مدينة سرقسطة طائفة يهودية كبيرة، وسكن معظم أفرادها في الحي اليهودي الذي يقع في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة، بين سور المدينة في الجنوب وشارع مايور في الشمال، وكانوا يكسبون رزقهم من مهن مختلفة، إذ عملوا في دباغة الجلود، وصناعة الأحذية، ونسج الأقمشة وامتلكوا الحقول والكروم، وعملوا في التجارة الخارجية ، وكان لبرشلونة نصيب للتواجد ليهودي لاسيما في الحي اليهودي، وكانت المقبرة اليهودية تقع في جنوب المدينة، على منحدرات الجبل الذي ما يزال إلى الآن يُدعى جبل اليهود. وهناك العديد من شواهد القبور التي تحملُ كتابات من أواخر القرون الوسطى[٨].وواصل اليهود انتشارهم كذلك في مدن : طركونة وطرطوشة وقلعة ايوب وروطة .

وتسنم اليهود اعلى الوظائف الحكومية كمراتب الوزراء اذ حصل حسداي بن شفروط على منصب وزير الذي كان يعمل طبيبا ودبلوماسيا في بلاط عبد الرحمن الثالث ٩٦١ م وانتشرت المراكز الدينية في قرطبه وغرناطه وطليطله وأشبيليه وتاسست الحلقات التلمودية بمباركة الاثرياء من اليهود التي كانت بحاجة اليه في اصدار الفتاوى تتطبق مع اوضاعهم الجديدة فضلا انها محطات في الشبكات التجارية وكانت الفتاوى والسلع تعبر عن طريق تلك الحلقات [٩].

وذكر ان العصر الذهبي لليهود كان في العهد الاسلامي في الاندلس اذ ازدهر الفكر الفلسفي والديني لليهود لانصهارهم داخل المجتمع العربي واكتساب اللغة العربية والشعر العربي من خلال النتاج اليهودي في الموشحات التي كانت لم تصل الى الموشحات العربية وانما قلدت موشحات عربية خاصة. ،وهذا نتلمسه في شعر يهودا اللاوي (هاليفي) وموسى بن عزرا ، وازدهر فن المقامة في العبرية لذا ترجمت مقامات الحريري وكليلة ودمنه ، وظهر اهم المفكرين موسى بن ميمون الذي نقل الفكر العربي الاسلامي الى الفكر اليهودي الى كافة انحاء العالم [١٠].

المبحث الثاني : **دور اليهود الاقتصادي في الاندلس**:

تميز يهود الأندلس بمشاركتهم في معظم فروع النشاط الاقتصادي التي عرفته تلك البلاد. وقد سمح لهم المسلمون منذ أن فتحوا الأندلس أن يشاركوا في النشاطات الاقتصادية كافة، ومنعوهم فقط من النشاطات المحرَّمة [١١].

لذا اصبح العنصر اليهودي ،نشطا يتحرك في مجالات الاقتصاد المختلفة ،لاسيما في مهنة الفكاكة التي تميزوا بها، لأنها كانت ذات تأثير سياسي كبير لاسيما في مناصب الدولة الكبرى.

تطورت مهنة الفَكَّاكْ في غرب البحر المتوسط خلال القرن الثالث عشر على إثر تطور ، المنطقة. "الفُكاكة" المواجهات البحرية والقرصنة بين المسلمين والأمم الأوروبية في تلك ويكشف احتكار اليهود في زمن المرابطين مهنة أو خُطَّة عن الدور الدولي الذي لعبوه في منطقة .غرب المتوسط

والفكاكة[١٢] التي أصبحت كلمة متداولة في اللغات الأوروبية ، كانت تعني فك وافتداء أسرى المسلمين بالمال، عبر التجوال في الممالك الأوروبية وفي دار الإسلام، وخاصة الأندلس، لفك قيود الأسرى وعودتهم إلى أهلهم.

فكان اليهود من أوائل من مارس المهنة، من غير العُبَّاد والنبلاء في المحيط الإسلامي والمسيحي على السواء، بداية من القرن التاسع والعاشر، وذلك لاختصاص اليهود بالتجارة في ممالك الشمال.

وقد ذكر دور اليهود في هذه المهنة، غير واحد من المؤرخين وحتى الأدباء كالجاحظ. ثم دخل في هذ المهنة التجار المسلمون، والمستعربون، حتى آل الأمر إلى أن يتنافس فيها القساوسة، والشركات، والجمعيات الدينية. وكثيرًا ما كان التجار اليهود يتحولون إلى فكاكين للأسرى، كما رأينا حال يهود طليطلة، في نوازل محمد بن الحاج[١٣].

وتمكن لليهود أن يصلوا إلى هذه السطوة ومثل هذه المراكز بفعل التسامح الذي ابداه المسلمون اتجاههم، ذلك أن هؤلاء الذين بلغوا إلى أعلى المهن السياسية التنفيذية في عهد ملوك الطوائف، كانوا لا يملكون دولة، وما كان لأحدهم أن يطمع أحدهم بأقصى من أمنية الجاه والسلطان والثروة، الأمر الذي أتيح لهم من خلال توليتهم جباية الأموال للمسلمين في عصر الطوائف وفي مملكة ألفونسو السادس أيضًا؛ حيث كان لملوكها وأمرائها، حسب الدراسات التاريخية، نفس مبررات ملوك الطوائف، أي عدم طمع اليهود في القيام بانقلابات سياسية على عروشهم وإماراتهم. [١٤].

وكان لدى حكام الأندلس في العصر الأموي وفي عهد بني عامر وعهد الطوائف عامة، حافزًا قويًّا، دفعهم للاعتماد على اليهود في الأمور الدبلوماسية والمالية والإدارة العامة. ذلك أن اليهود لم يكن بمقدورهم أن يطمحوا إلى السلطة السياسية العليا، ولذا فخطرهم على النظام القائم كان أقل من خطر المسلمين الذين قد يطمحون إلى تولي الحكم بأنفسهم.

مما أدى استحواذ اليهود واستبدادهم بالسلطة والنفوذ إلى ثورة، وسخط تأجج في صدور الرعية ضد حكامهم وسياستهم المتخاذلة ، نتيجة استئثار اليهود في عصرهم بالمناصب الكبرى، أمثال شموئل بن نكديلا الذي أصبحت له حظوة كبرى عند حبوس وباديس وملوك غرناطة. ويوسف ابنه الذي أصبح وزيرًا لبلكين بن باديس. فأثروا وأثروا معهم غيرهم من اليهود[١٥].

كانت المدن الأندلسية أسواقًا للتجار الأندلسيين والأجانب، يقومون فيها بأعمال التجارة البعيدة أو الدولية اذ اصبحت الأندلس في العصر الإسلامي مركزًا تجاريًّا دوليا هامًّا، كما كانت تصلها بضائع الشرق والغرب، وبقيت التجارة الأندلسية شديدة الارتباط بمناطق أخرى من عالم المتوسط الإسلامي طوال غالبية العهد الإسلامي، من أواسط الفترة الأموية في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حتى ذروة الانتصارات المسيحية في أواسط القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي.

وحرية حركة التجار بنقل بضائعهم على امتداد الخطوط البرية والبحرية التي تصل الأسواق الأندلسية بأسواق المغرب والمشرق، وكانت مدن مثل المرية وإشبيلية ومالقة تقوم بدور مخازن التصريف التجارية، حيث كان يقوم بأعمال الاستيراد والتصدير تجار مسلمون ويهود ومسيحيون(١٦).

وحسب ما كشفته وثائق جنيزة في القاهرة، كان حظ اليهود كبيرًا في هذه التجارة، فكذلك كان حظ المسيحيين كبيرًا أيضا، بسبب المعلومات التي توفرت من أرشيفات الكنائس والأديرة التي فتحت في السنوات الأخيرة. بالمقابل، فإن حظ المسلمين الأندلسيين من مثل هذا الإهتمام التوثيقي، يكاد يكون نادرًا مع شهرتهم وكثرة تجوالهم في العالم، ذلك، أن كتب السلاسل والطبقات ما كانت لتهتم إلا بالعلماء والصلحاء. فإذا كانوا من فئة العلماء، التجار فحظهم، من اهتمام واضعي هذه الكتب يكون أكبر، عندئذ، إذ يتم تدوين سيرتهم. ولكن إن كانوا من فئة التجار فلا يُذكَرون إلا عرضًا، ولهذا فإن معرفة حظهم في التجارة الدولية في غياب الوثائق، يترك المؤرخ في حيرة من أمره، فما هو طاغ في النصوص التاريخية الخاصة بالمعاملات التجارية، لتلك الفترة، يخص اليهود دون غيرهم، من بقية عناصر ومكونات المجتمع الأندلسي(١٧).

أهتم يهود الأندلس بالتجارة اهتماماً كبيراً، وعدُّوها الطريق الأفضل لتحقيق الربح الكبير، وقد حَضَّهم على ذلك أحبارهم، إذ وضع العالم التلمودي راب شعاراً لأبناء مِلَّته يقول: "تاجر بمائة فلورين (عملة أوروبية)، تحصل على لحمٍ وخمر، أما إذا استغلَلْتَ هذا القدر نفسه في الزراعة، فأكبر ما تحصلُ عليه هو الخبزُ والملح".

وقد عمل يهود الأندلس في التجارة الداخلية، فشاركوا في نقل وتبادل السِّلَع بين مدن الأندلس، وكانت لهم محال تجارية في أسواق المدن التي يعيشون فيها. إضافة إلى متاجر داخل الأحياء اليهودية. وقد خصَّصَ الأندلسيون أسواق مغطاة بسقف خاصة للسِّلع القيِّمة كالذهب والحرير، وتقع غالباً بالقرب من مسجد المدينة الرئيس، وأطلق المسلمون على هذه الأسواق اسم"القيسارية". وعن تجارة اليهود الخارجية يروي الضبيَّ أنَّه كان مع جيش الأسبان في معركة الأرك (٥٩١هـ=١١٩٥م) "جماعات من تجار اليهود، قد وصلوا لاشتراءِ أسرى المسلمين وأسلابهم، وأعدُّوا لذلك أموالاً فهزمهم الله تعالى، واستوعب القتل أكثرهم، وحاز الموحدون جميع ما احتوت عليه محلتهم الذميمة"(١٨).

وكان للتجار اليهود الأندلسيين دور مهم في استمرار الحركة التجارية في البحر المتوسط بين الإمبراطورية الفرنجية في أوربا ودول المشرق، حيث قام هؤلاء التجار بأخذ السلع التي تصل

إلى الأندلس من بلاد المشرق، ويحتاجها الأوربيون، وبيعها في بلاد الغال (فرنسا) التي كانت المركز الرئيس الذي تنتقل منه هذه السلع إلى دول أوربا، ونقلوا أيضاً المنتجات المصَّنعة في الأندلس، المشهورة بجودتها والتي كان نبلاء الفرنجة يحرصون على إقتنائها. ومن هذه السلع الملابس والمنسوجات الحريرية والقطنية والمنتجات الجلدية، والزئبق والزعفران، والحلي. [١٩].

وقد وصل تجار يهود من الأندلس إلى الهند، وجلبوا منها التوابل والجواهر والأحجار الكريمة والفيروز وأنواع مختلفة من الخرز والأصداف وأهم تجارة مارسها يهود الأندلس واحتكروها هي تجارة الرقيق، إذ كانوا يجلبون إلى الأندلس أعداداً كبيرة من الفتيان والفتيات الصغار، يشترونهم من شمال أسبانيا، وبلاد الفرنجة، ومن الدول السلافية، ودول ساحل البحر الأسود، ثمَّ يعرضونهم للبيع في أسواق الأندلس[٢٠].

كانت المجموعة اليهودية نشطة في التجارة الدولية ومعظم الصناعات والحرف المهمة، تحت إشراف الحبر ابن يامين التُّطَيْلِي خلال القرن الثاني عشر. ويقول فرنان بروديل في عمله الكبير: المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فيليب الثاني، "لقد حُكم على اليهود أن يكونوا كبار حرفيي التبادل، فها هم حتى ما بعد القرن الثالث عشر، محترفو نقل الفكر والعلوم العربية إلى الغرب. أما في القرن السادس عشر، فقد صار اليهود نقلة تقنيات وصناعات كثيرة من الغرب إلى الدولة العثمانية، حيث حملوا إليها فن صناعة الطباعة، خلال فرارهم من المجازر والطرد الذي تسبب باضطراب حياتهم تحت الهيمنة الأوروبية المتصاعدة[٢١].

ولا نعدم المعلومات الهامة التي نستقيها من مراسلات يهود الأندلس مع يهود القاهرة، حيث تتحدث بعض وثائق جنيزة عن وصول تجار مشارقة إلى الأندلس، وتحديدًا إلى المرية، ما بين ١١٣٨ و١١٤٠م. فتسجل أخبارًا عن تجار مسلمين وصلوا الأندلس قادمين من الإسكندرية وليبيا. كما توجد نقوش قبور ثلاثة في نفس المدينة الأندلسية، حيث دفن أصحابها في سنوات ٥١٩هـ/١١٢٥م . ٥٢٧هـ/١١٣٣م .٥٤٠هـ/١١٤٥م، وهي شاهد على حضور تجاري في النصف الأول من القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي.[٢٢]

المبحث الثالث : **عصر النفوذ اليهودي في الأندلس**:

عاش اليهود أقليات في الشرق الأوسط وجنوب شبه الجزيرة العربية واليمن، واشتهر منهم ملوك حمير وكان لهم مملكة حيداب، وفي شبه الجزيرة العربية كان نصف اعداد يثرب (المدينة) من اليهود وكانت الى جانب مكة من اغنى المدن آنذاك لبراعة اليهود في التجارة والزراعة

والصياغة وصناعات ذاك الزمان، كان اليهود في الجزيرة العربية ينتمون الى ثلاث قبائل مهمة هي بني النضير وبني قريظة وبني قينقاع ويهود خيبر. الأولى والثانية يقال عنهما من بني هارون. وكان لهم أيضا تجمع في أعلى الحجاز على الطريق بين يثرب والشام في خيبر، ويقال لها ريف الحجاز، وكان هناك يهود خيبر، الا ان اليهود في الجزيرة العربية اجلاهم عمر بن الخطاب مع المسيحين طبقا لحديث الرسول (لا يجتمع دينان في جزيرة العرب) الى الشام والعراق خاصة الكوفة، وكان اليهود في العراق من بقايا السبي البابلي. وكان في الشام ولبنان وفلسطين يهودا. [٢٣]

اليهود ثلاثة فئات السفرديم يشكلون خمس اليهود في العالم وهم سلالة يهود اسبانيا وهم يتحدثون لغة تعرف بـ (لادينو) وليس (لاتينو) وهي مزيج من كاستليان الاسبانية القديمة والعبرية، اما اليهود (اليديش) فهم اليهود الالمان وهناك اليهود المزراحيين وهم المجتمعات الشرقية في كافة البلاد العربية حتى اوزبكستان وكردستان والهند. الجدير بالذكر ان يهود (السفرديم) في اسبانيا اصبحوا يستخدون اللغة العربية في معاملاتهم اليومية في الاسواق كما استخدموها في العلوم والفلسفة والتجارة وفي تأليف المخطوطات منذ منتصف الفرن التاسع حتى بعض كتبهم الدينية سجلوها بالعربية. ورغم بعض الاحداث الدموية لهم من المتطرفين المسلمين الا انهم بقوا لقرنين يعيشون (عصرا ذهبيا). [٢٤]

يهود الأندلس كان لهم مقامهم العالي في الطب والفلسفة والتاريخ في العهد الاموي الاول وتعد تلك الفترة لهم فترة ذهبية لعلو مكانتهم في الطب والعلوم والصنعة حتى في عهد ملوك الطوائف اثر انهيار الدولة الاموية. حتى جاء المرابطون والموحدون الغلاة في الاسلام، بدأ الامر بالمرابطين حيث قضوا على بعض ملوك الطوائف عام ١٠٨٦، وكانوا على جانبين غلاة وعلى شيئ ضئيل من التسامح فابقوا على اليهود لحاجتهم لليهود في صنعات ذاك العهد، ثم تلاهم الموحدون عام ١١٤٦، وكانوا اشد غلوا وشراسة حيث عاثوا في الارض فسادا وفرضوا على اليهود والمسيحيين اعتناق الاسلام. كان تركيز الوجود اليهودي في الأندلس في المدن مثل قرطبة وطليطلة وإشبيلية وسرقسطة، اعتبر الاسبان اليهود منذ استيلاء طارق بن زياد على اسبانيا خونة وقيل انهم ساعدوا المسلمين في الاستيلاء على الجزيرة ضد الاسبان، لكنهم في الاسلام اعتبروا من الذميين اهل كتاب وكان عليهم دفع الجزية لكن ارتفاع مكانتهم بعد حين دفع الكثير من اليهود الى الرحيل الى الاندلس من اوربا وشمال افريقيا بل حتى من العراق. الواقع ان اليهود اغنوا التراث العربي لكن في ذات الوقت اغنوا حضارتهم العبرية بما حدث في بغداد من نهضة زاخرة بتراث اليونانيين والسريان واتقنوا اللغة العربية واصبحت الواسطة في مؤلفاتهم لكنهم

حافظوا على عبريتهم لغة ودينا وتقاليدا وكان لهم الفضل في حفظ التراث العربي الجديد في لغتهم العبرية بعد ان عانت الاقطار العربية من الحروب والاقتتال والثورات التي حرقت الاخضر واليابس ومنها المخطوطات العربية وكان حرق الكتب العربية ياتي عمدا لانها تحمل انواعا من الكفر وهذا ما حدث لكتب ابن رشد الذي ضروبة بكتبه على رأسة ثم حرقوها باسم الله واليوم الآخر. [٢٥]

في خلافة عبد الرحمن الثالث على قرطبة وهي الفترة الذهبية استوزر الخليفة اليهودي حسداي بن شبروت (882-942) مستشارا له وكان طبيبا في بلاطه وكان من واجبات حسداي بن شبروت ادارة التجارة في المملكة والاتصال بملك الخزر اليهودي. اسس عبد الرحمن الثالث مركزا للدراسات اللغوية العربية ومن خلالها تطورت الدراسات العبرية، ومن خلال هذا المركز انتعشت دراسات السفرديم وتعني اليهود الاسبان اما اليهود الذين استقروا في المانيا فكانوا يدعون بالاشكنازي. وقد كان حسداي بن شبروت شاعرا فقد ساعد في قيام ثقافة عبرية في الاندلس فبرز (دوناش بن لبرات) مجدد (الشعر المتري العبري) و (مناحيم بن ساروق) الذي وضع معجما في العبرية امتد انتشاره الى المانيا وفرنسا، ثم االشعراء في العبرية (سولومون بن غابيرول) و (يهودا حلبي) و (صامئيل بن ناكريلا) و (ابراهام) و (موزز بن عزرا). حسداي بن شبروت لم يفد اليهود في الاندلس فقط بل امتد ذلك الى يهود بيزنطة واتصاله بالاميره (هيلينا) البيزنطية طالبا حماية اليهود في مملكتها. ومن الاطباء البارزين الميمونيون من اليهود في الاندلس وهم عديدون ابرزهم واولهم الطبيب (عبد الله بن ميمون) و (موسى بن ميمون) وغيرهم من العائلة و(مبير الغوادس) و (يعقوب بن نونز) وكانوا من اطباء البلاط. في موسوعة (ويكيبيديا) بالانكليزية خطأ جسيم في ذكرهم ان اليهود في الاندلس ترجموا المخطوطات اليونانية او اللاتينية الى العربية، انه خطأ جسيم فالمخطوطات الطبية والمعرفية العربية ترجمت جميعها في بغداد من السريانية، وليس هذا فقط فاكثر المؤرخين الغربيين يهملون دور السريان في الترجمة من اليونانية الى السريانية ثم الى العربية وممارسة الطب لاجيال عديدة. الواقع ان الاندلس في نهضتها في الطب انما كانت بفعل الطب التي ترجمت المخطوطات الطبية فيه من السريانية الى العربية ولاينكر دور اطباء الاندلس فانهم حققوا انجازات كبيرة في الطب وكان للاندلس دور كبير في ترجمة المخطوطات العربية والعبرية الى اللاتينية. [٢٦]

اذا كان المسلمون في اسبانيا حملة السلاح والوظائف فان اليهود بالاظافة الى المهساهمات الفكرية لهم في الاندلس فقد كانوا مهرة في المهمن اليدوية كصياغة الذهب والفضة وفي اعمال المعادن والدباغة كما كانوا الواسطة بين العالم المسيحي والاسلامي في التجارة لهذا

ظهر منهم تجارا جابوا اوربا و الشرق الاوسط بل حتى الشرق الاقصى. في القرن الحادي عشر ابتكر التجار اليهود في اسبانيا صكوكا (شوفاتاجية) في التجارة وربما كانت الاولى في التاريخ في المعاملات التجارية. في القرن الحادي عشر غزى البربر قرطبة فسقطت المملكة الاموية الى الابد وحل ملوك الطوائف وبقي اليهود يعملون كاطباء وتجار ودارسون وقد مارس الوزارة منهم (صاموئيل نكريلا) وابنه (جوزيف) ولاول مرة عملا قائدين في الجيش الاسلامي الا انهما ماتا في مذبحة راح ضحيتها ٤ آلاف يهودي من اشبيليا ولوسينا و سيراكوزا وبذلك انتهى العصر الذهبي اليهودي في الاندلس قبل (الريكونكيستا) اي اعادة الاحتلال الاسباني للاندلس. عندما حل الموحدون الاكثر شراسة بعد المرابطون زادوا الاذى على اهل الذمة من مسيحيين ويهود وطلبوا منهم اعتناق الاسلام او الموت وفي هذه الفترة الصعبة آثر الميمونيون الرحيل الى مصر وتشرد اليهود والمسيحيين في الرحيل الى ممالك طوائف اخرى[٢٧].

استمر الحكم العربي من711 اي القرن الثامن حتى القرن الثاني عشر وكان (العصر الذهبي اليهودي في الاندلس) هو (العصر الذهبي الاموي) الذي يسمونه ايضا عصر الموريش (Moorish) اي البحريين اي العرب الذين جاؤوا من خلف البحار الذي بدأ في عام ٧١١ ثم انتهاء الخلافة في ١٠٦٦ وبانتهاء الخلافة وما بعدها انتهى (العصر الذهبي اليهودي في الاندلس) في مذبحة اليهود في قرطبة في ١٠١١ ثم في غرناطة في ١٠٦٦ م حيث شنق الغوغاء الوزير جوزيف بن ناغريللا بغزوة المرابطين في ١٠٩٠. [٢٨]

في العصر الذهبي مارس اليهود درجة عالية من المكانة ليس هبة من الحكم الاسلامي بل لمكانتهم العالية في ثقافة ذاك الزمان وعلوهم في الصناعات اليدوية التي كانت قائمة في ذاك الزمن ولم يكن الاستغناء عنهم سهلا لكنهم بقوا من اهل الذمة معرضين للاذي لهذا عاشوا حياة (الغاتو) اي التجمع في اجزاء من المدن الاندلسية ثم حدثت الطامة الكبرى عندما انهارت الامبراطورية الاموية في الاندلس ثم حل ملوك الطوائف ثم جاء مغول ذاك الزمان المرابطون من المغرب ثم الموحدون من المغرب ايضا فكانت نهاية النهاية ليس لـ (العصر الذهبي اليهودي في الاندلس) بل لليهود في الاندلس الفردوس كما كان النهاية لعصر اسلامي انهار بفعل التناحر بين العدنانينة والقحطانية على (الهريسة) ثم التناحر العربي الامازيغيي، المسلمون الآن يبكون دما على ذلك الفردوس المفقود، دون ان يدركوا انهم اخذوا بالقوة بيتا عاشوا فيه ثلاثة قرون ثم رده صاحب الدار ليسكنه هو. [٢٩]، ان اليهود في الاندلس عاشوا عصرا ذهبيا الا انهم عوملوا معاملة الذميين وكانت حقوقهم اقل من حقوق المسلمين. تحت المرابطين في ١٠٩٠ تمتع اليهود فبرز منهم الشاعر (ابو ايوب بن المعلم) و (ابراهام بن كمنيال) و (ابو اسحق بن مهجر) و

(سولومون بن فاروسال) والاخير كانت نهايته القتل. في ١١٤٨ حل الموحدون وهم من الامازيغ الذين اسموهم بالبربر وكان القضاء على المرابطين ففرضوا الاسلام على المسيحيين وخاصة اليهود والا صودرت ممتلكاتهم وسبيت نسائهم واطفالهم وجعلوهم عبيدا، ثم اغلقوا معاهد اليهود الثقافية و (توراتاتهم) مكان العبادة. وفي هذه الفترة هاجر اليهود والمسلمون الى طليطلة وهي فترة ترجمة بعض المخطوطات العربية الى اللاتينية منها اعمال بن رشد وابن سينا وفي هذه المرحلة انظم ٤٠ الفا من اليهود الى (الفونسوا السادس) لمقاتلة المرابطين رغم انتهاء العصر الذهبي لليهود لكن الامر لم يبقى في صالحهم ومنهم من هاجر ومنهم واحد من (ابن ميمون) هاجر الى مصر وبقي الكثير منهم يتحملون ما هو مكتوب لهم وانتهى الامر بهم الى ارجاع الاسبان ارضهم فصدر قرار طرد اليهود والمسلمين في ١٤٩٢ من اسبانيا والبرتغال او القبول بالمسيحية بعد سلسلة من المذابح عنوها من المرابطين والموحدين[٣٠].

بموت الحاجب المنصور في ١٠٠٢ بدأ الهبوط السريع للحكم الإسلامي في الأندلس وبعد زمن قصير اندلعت فتنة الامازيغين (البربر) الذين كانوا يعانون التمييز العنصري فدمروا مدينة الزهراء رائعة الأندلس وتعاقب على الخلافة الأموية خلفاء ضعفاء. وفي هذا العهد ظهر الشاعر ابن زيدون الي هام بـ (الولادة) بنت الخليفة المستكفي كانت احدى الثائرات فنبذت حياة الحريم. هام بها ابن زيدون فانشد قصيدته الرائعة (أضحى التنائي بديلاً من تدانينا – وناب عن طيب لقيانا تجافينا) ثم (بنتم وبنا فما ابتلت جَوانحُنا – شوقاً إليكم ولا جفت ماقينا) ثم (بالأمس كنا وما يخشى تفرقُنا – والآن نحن وما يرجى تلاقينا) ثم (يا جنّة الخلد بدلنا بَسلسلِها – والكوثر العذب زقوماً وغسلينا). [٣١]

كتبة التاريخ الاسلامي يزنون التاريخ بمعيارين هما اولا ان المسلمين قوم ملائكة والمسيحيين شياطين، كلما تحدثوا عن المسيحيين اوردوا عبارات مبرمجة في عقولهم منها (الصليبيين) تعييرا وهذا ماقالة واحد من اهل راوة من حملة الدكترة في كندا. من طبيعة كتبة التاريخ الاسلامي التهجم على الاسبان بانهم قتلة اليهود في محاكم التفتيش ناسين ان عصر محاكم التفتيش الاسلامية في الاندلس بدأت بالموحدين والمرابطين المسلمين العتاة قبل محاكم التفتيش المسيحية وهم يصورون اليهود عاشوا طيلة حياتهم بمعاملة حسنة متناسين انهم كانوا حتى ايام عزهم مواطنين من الدرجة الثانية كحالة المسيحيين في الدول الاسلامية في هذا العصر كمصر بشكل خاص، كما تعرض اليهود في عصور المرابطين والموحدين وملوك الطوائف الاسلامية لمذابح لاحد لها. [٣٢] كتبة التاريخ الاسلامي بل حتى المثقفين لا يرون اي بأس في غزو جماعة طارق بن زياد للاندلس لان غزو المسلمين لبلاد الكفار واجب من وحي الله ولا يرونه عدوانا على بلاد

اخرى واذا كان الاسبان قد اخرجوا المسلمين من اسبانيا فانهم قد استرجعوا ارضهم التي عبث فيها المرابطون والموحدون فاصبحت نهبا حلالا لهم. وقضية اخراج المسلمين من اسبانيا تثير الغضب بين كتبة التاريخ الاسلامي لكنهم يتعامون عن اجلاء عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كافة المسيحيين واليهود من الجزيرة العربية التي هي ارضهم وما فعله الاسبان لم يخرجوا السكان الاصليين بل محتلون سبوها باذن من الله. وكتبة التاريخ الاسلامي يتناسون دور السريان في نقل الطب والفلسفة اليونانية من السريانية الى العربية وهذا ما يفعله الكثير من المستشرقين ولو القوا نظرة محايدة على التاريخ لوجدوا ان عصر الراشدين كان صحراء علمية اما الامويين فقد طوروا عقليتهم الصحراوية لكي تتلائم مع حضارة دمشق الغريبة عليهم وفي كلا العصرين لم يصدر كتاب واحد في الطب او الفلسفة وكانت جميع كتاباتهم تدور في مدح النفس وذم الآخر، حتى حل العصر العباسي عندما دعى الخليفة المنصور جورجيس بن بختيشوع عميد مدرسة جنيدسابور الطبية وكادر مستشفى جنديسابور الى بغداد فانطلقت اكبر حركة علمية في ترجمة الخطوطات الطبية والفلسفية السريانية الى العربية[٣٣].

فشهدت بغداد عهدين في الطب عهد الترجمة من السريانية الى العربية ثم عهد الهضم والتأليف وكل ما حدث من تقدم طبي كان نتيجة ما حصل في بغداد والواقع ان كافة المراجع الطبية المكتوبة الاولى كانت المصدر لانطلاق الانتاج الطبي في الاندلس ثم مصر. تقول الموسوعة (ويكيبيديا) ان الاطباء اليهود في الاندلس هم الذين ترجموا المخطوطات الطبية اليونانية واللاتينية الى العربية وهذا امر لا يعتمد على الحقيقة لان اليهود في الاندلس لم يكونوا يعرفون اليونانية بل السريان هم الذين ترجموها من اليونانية في الرها والحيرة الى السريانة فكانت جاهزة للترجمة الى العربية وهم الذين ترجموها الى العربية اما اشارة (الويكيبيديا) بان اليهود ترجموا المخطوطات اللاتينية فامر غير صحيح ايضا انما ساهموا في نقل المخطوطات الطبية العربية الى اللاتينية في عصر النهضة الاوربية والجدير بالذكر ان الكثير من المخطوطات الطبية العربية قد حرقت بدوافع دينية او ثورات لهذا فقد ترجمت الكثير من المخطوطات الطبية العربية من نرجماتها العبرية[٣٤].

طرد اليهود من الأندلس

عند تفكك الخلافة الاموية في الاندلس وانقسامها الى دويلات وامارات اسلامية صغيرة لاسيما حكم الطوائف (١٠٠٨) الذين استخدموا كثير من اليهود كمستشارين ماليين وسياسيين وفي البعثات الدولية وفي البلاط وملتزمي الضرائب ، وبعد استيلاء المرابطين على الحكم عام ١٠٨٦ قاموا بطرد اليهود وتطهيرهم من جميع اجهزة الدولة نكاية بالموحدين فتدهورت احوالهم

لفترة قصيرة ولكن الامور عام ١١٤٦ عادت ولكن ليس الى سابق عهدها بصعود المرابطين مرة اخرى كما اخذ الحكم الاسلامي عموما بالتدهور التدريجي بعد هذا التاريخ ، وظهرت القوانين التي تحد من نفوذ اليهود وبداوا بفقدان اهم وظائفهم وحرم عليهم مغادرة منازلهم في عيد القيامة كما حدد عدد المعابد اليهودية [35].

وازداد اليهود عزلة واقصاء بالتوغل المسيحي في الاندلس فحرمت كتابات موسى بن ميمون وبدات التظاهرات ضد اليهود في الاندلس المسيحية على نطاق واسع عام ١٣٩١ وتنصر الاف اليهود وسمي هؤلاء المتنصرين اليهود (المارانوا) الذين صدرت قوانين بحقهم تمنهعم الاشتغال بالطب او الحرف كما الغيت محاكم اليهود الخاصة عام ١٤١٢

ومن الناحية الرسمية، كانت شبه جزيرة أيبريا خالية من اليهود، أما من الناحية الفعلية فقد كان هناك يهود المارانوا المتخفون الذين كانت تربطهم علاقة بجماعات يهود السفارد في الخارج. وقد كوَّن هؤلاء فيما بينهم شبكة تجارية مالية مهمة. كما كان بعض يهود السفارد يمثلون مصالح إسبانيا والبرتغال في الخارج وكانوا بمنزلة سفراء وملحقين تجاريين لها.

وسُمح لبعض اليهود بالهجرة إلى إسبانيا في القرن التاسع عشر الميلادي، كما سُمح لهم ببناء معابد خاصة. ثم أُلغي قرار طرد اليهود عام ١٩٣١. وتُوجَد هناك، في الوقت الحالي، جماعة يهودية صغيرة ليست لها أهمية تذكر، كما لا تزال تُوجَد بقايا يهود المارانو في البرتغال. وقد بدأت الدولة الصهيونية بتهجير البقية الباقية من يهود المارانو إليها[٣٦].

الخلاصة:

استعرضا في الفقرات السابقة (اليهود في المجتمع الاندلسي) وقد تحاشيت الإسهاب في عرض بعض المفردات التي قد تثير حفيضة قسم من الباحثين ، فأحلت الأمر على المصادر والمراجع التي يمكن الرجوع اليها بصورة مباشرة للوقوف على التناقض الحاصل في بعض مواردها او نصوصها.

وقد تبين أن الخوض في غمار تلك الحقبة التاريخية التي سبقت عصر التدوين وامتدت بعد ذلك إلى عدة عقود، وعلى الرغم من الأهمية البالغة التي تتميز بها تلك الحقبة الحساسة، حيث قد تشكلت فيها الجذور السياسية والاجتماعية والثقافية إلا أنها لم تحظ بالاهتمام المرجو من قبل الباحثين والمفكرين، وأصبح الكثير من المثقفين لا يعرف سوى النزر اليسير عنها، وبالنسبة لبعض الدراسات القليلة المتناثرة التي دارت حولها فإن أساليب تناول تلك الحقبة قد تعددت واختلفت على نحو لا يروي ظمأ طلاب العلم والحقيقة، ولا يعينهم على استيعابها وإدراك أثارها.

وتبين لأهمية اليهود إبان فتح المدن الأندلسية فنالوا كبير جزاء لهذا الفعل، حيث كان لليهود مستقرا بها قبل الفتح ، وأسلم عند الفتح أو بعده ، أو دخل إليها بعد الفتح و أسلم .

وتبين أن اليهود يتممتعون بنوع من الاستقلالية وبنيت هذه الإستقلالية على وثيقة ترجع إلى أيام عمر بن الخطاب ، وهي الوثيقة التي بعث بها القائد عبد الرحمن بن غانم إلى عمر بن الخطاب(رض)

وظل العنصر اليهودي ،نشطا يتحرك في مجالات الاقتصاد المختلفة ، ولكنه كان أيضا ذا تأثير سياسي كبير لاسيما في مناصب الدولة الكبرى.

وتبين ان اليهود، منذ القديم كما خلص إلى ذلك جُل الباحثين، يشكلون فئة من الوسطاء في التجارة الدولية التي ربطت بين سلع غرب إفريقيا وأوروبا، خلال هذه المرحلة من عصر المرابطين، ما أتاح لهم احتكار النقاط الحساسة ومراكز الطرق التجارية البرية والبحرية.

وقد تبين ان اليهود في الاندلس عاشوا عصرا نفوذيا في كل المجتمع العربي الاسلامي، لانهم اتقنوا العربية بالاضافة الى لغتهم العبرية لذا ساهموا في اغناء التراث الثقافي العربي كما اغنوا تراثهم العبري العلمي والديني بظهور عباقرة منهم في الثقافة في اللغتين. عاشوا (عصرا يهوديا ذهبيا) بين (٧١١ الى ١٠٦٦) الا انهم كانوا يعتبرون اهل ذمة يدفعون الجزية صاغرين وكانوا يعيشون في (الغيتوات) اي الحارات المخصصة لليهود محميين بالخلافة القوية. الا انهم بين فترة انهيار الخلافة و (الريكوكنكستا) اي رد الاندلس لاهلها الاسبان، تعرضوا للعديد من المذابح كان اكبرهما مذبحة اليهود في قرطبة في ١٠١١ ثم في غرناطة في ١٠٦٦ خلال حكم ملوك الطوائف ثم بغزوة المرابطين للاندلس من الشمال الافريقي في ١٠٩٠، وفي ١١٤٨ حل الموحدون وهم من الامازيغ الذين اسموهم بالبربر وكان القضاء على المرابطين ففرضوا الاسلام على المسيحين واليهود. وفي ١٢٣٨ حل النصريون ثم في ١٤٩٢ انتهى حكم النصريين. ومنذ انتهاء عصر الخلافة في ١٠٦٦ حل المرابطون فتشرذم اليهود في الاندلس يطلبون رحمة الاله فهرب الكثير من علمائهم الى مصر فحدث الشتات منهم من رحل الى اوربا ومنهم من بقي حتى استرجع الاسبان ديارهم.

قائمة الهوامش

(١) صالح، عبدالقادر، موسوعة المعرفة العقائد والاديان، (دار المعرفة، ط٢، بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ص٢٨٥.

(٢) البلتاجي، عبدالله محمد ، سلسلة موسوعة معجزة القرآن الرياضية،(المنشورة على الموقع الالكتروني في مثال بعنوان (الاسباط في القرآن) . www.alargam.com

[٣] الساموك، موسوعة الاديان والمعتقدات القديمة: ١٢٨/١.

[١] ورد في التوراة (فجاء احد الناجين واخبر ابرام العبراني)، سفر التكوين: ١٣/١٤.

[٢] سوسة، احمد، المفصل العرب واليهود في التاريخ،(دار الحرية، ط٥، بغداد،)ص٤٩٣.

[٣] الملاح، د. هاشم يحيى، المفصل في فلسفة التاريخ،(مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ١٤٢٦ – ٢٠٠٥)، ص٧٨.

[٤] ينظر سفر التكوين: ١٦/١١-٢٦.

* باحث يهودي معاصر أسلم وأحسن أسلامه له عدة مؤلفات قيمة حصل على عدة جوائز علمية.

[٥] السقا، د. احمد حجازي، نقد التوراة، نشر مكتبة النافذة، ط١، ٢٠٠٥، ص٣٨-٣٩.

[٦] الساموك، موسوعة الاديان والمعتقدات القديمة: ١٢٦/١.

[٧] ظ: شلبي، احمد، مقارنة الاديان (اليهودية)، دار النهضة المصرية، ط٤، القاهرة، ١٩٧٤، ص٤٦.

* اسرائيل هي التسمية التي اطلقتها التوراة على سيدنا يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (عليهم السلام) اذ جاء في التوراة في سفر التكوين: ١٨/٣٢ (وظهر الله ليعقوب وقال له لا يدعى اسمك فيما بعد بل يكون اسمك اسرائيل لانك جاهدت مع الله).

[١] سورة الاسراء: ٤، وظ: آل عمران: ٤٩ ومريم: ٥٨ والبقرة: ٤٠.

[٢] الواسطي، كاظم النصيري، المسلمون والصهيونية، (مطبعة قلم، ط١، ١٤٢٦-٢٠٠٥، قم،) ص٤٦.

[٣] ظ: سفر التكوين: ٢٤/٣٢-٣١.

[٤] الملاح، مصدر سابق ٧٨.

[٥] سورة المائدة: ٨٢.

[٦] ابن زكريا، ابي الحسين احمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة،(تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، (د. ت): ١٨/٦.

* يهوذا الابن الرابع لنبي الله يعقوب من زوجته ليئة وهو الذي اقنع اخويه ببيع يوسف الى تجار عابرين. وهو احد الاسباط الاثني عشر، ملك المملكة الجنوبية في فلسطين، موسوعة الكتاب المقدس، اصدا، دار منهل الحياة ودار الكتاب المقدس، لبنان، ١٩٩٣، ص٣٥٠-٣٥١.

[١] الساموك، سعدون محمود، تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، (نشر جامعة بغداد، ١٩٨٨)، ص١٦.

[٢] موسوعة الكتاب المقدس: ٣٥٠.

[٣] الرازي، التفسير الكبير: ١٩/٢٣، الشيرازي، الامثل: ٢١٠/١٠-٢١١، المشهدي، كنز الدقائق: ٢٨/٩.

[٤] سورة الحج: ١٧.

[٥] سورة آل عمران: ٧٠، وظ: البقرة: ١٠٩.

[١] المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٢٢/٢.

[٢] لاحظنا بوضوح كيف كانت علاقات اليهود مع بعضهم في أحسن احوالهم التاريخية عندما اسسوا مملكتي يهوذا واسرائيل فوقع الاقتتال والتباغض بينهم لسنين طوال وهو ما نلحظه اليوم من نظرة عنصرية بين يهود الشرق والغرب داخل اسرائيل.

صادق، د. دولت احمد واخرون. الجغرافية السياسية، ط٧، (نشر مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٧)، ص٢٧.

[٣] المسيري، المصدر السابق: ٢/٢٢.

[٤] المسيري، المصدر السابق: ٢/٣١.

[١] المسيري، المصدر السابق: ٢/٣١.

[٢] الخليل مقال (تاريخ اليهود في العراق) ص ١.

[٣] سورة الحجرات: ١٣.

(١) المقري: احمد بن محمد التلمساني ت١٠٤١هـ/١٦٣١م:نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، تحقيق: احسان، ١/ ١٠

(٢) **سيد طنطاوي، مُحَمَّد بَنو إِسْرَائِيل فِي الْكتاب وَالسّنة ،(الطبعة الأولى، الزهراء للإعلام الْعَرَبِيّ، الْقَاهِرَة ١٤٠٧هـ)ص ١٢١**

(٣) **مكاريوس ، شاهين ، تَارِيخ الإسرائيليين (مطبعة المقتطف، مصر ١٩٠٤م) ص ١١٠.**

(٤) **ينظر:ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ،**(مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح و أولاده ، القاهرة)، ٢ / . ٢٠ .

(٥) الخالدي ، خالد يونس ، اليهود تحت حكم المسلمين في الاندلس (الجامعة الاسلامية ، غزة) ص ٥٣

(٦) يمظر : المسيري ، عبد الوهاب ، موسوعة اليهود واليهودية ، ٣ / ٧٨

(٧) الخالدي ، خالد يونس ، اليهود تحت حكم المسلمين في الاندلس (الجامعة الاسلامية ، غزة) ص ٧٣

(٨) ينظر :المرجع نفسه ، ص ٧٧

(٩) **جاك تني، الْأُخوة الزائفة تعريب أَحْمد التازوري، (مؤسسة الرسَالَة، بيروت) ص ٦٧.**

(١٠) **عبد السَّلَام، مُحَمَّد ، بَنو إِسْرَائِيل فِي الْقُرْآن الْكَرِيم ، (الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، مكتبة الْفَلَاح، الكويت)ص ٩٧.**

(١١) **عبد الْوَهَّاب، أَحْمد ، إِسْرَائِيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة ، (مكتبة وَهبة، الْقَاهِرَة – ١٩٧٢م) ص٧٧.**

(١٢) « الفكاكة » :الفكاك خطة من يتولى فك أسرى الجهاد الثغري، أو الجهاد البحري، أو القرصنة، من بلاد النصارى والعمل على إرجاعهم بعد فديتهم من دار الضلالة.

(١٣) بلغيث ، محمد الأمين :نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي، (دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧م.)ص ٢١٣

(١٤) **دروزة، محمَّد ، تَارِيخ بني إِسْرَائِيل من أسفارهم ، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٣٨٩ هـ – / ١٩٦٩ م)ص٩٢، فريد بك، مُحَمَّد، تَارِيخ الدولة الْعلية العثمانية (تَحْقِيق: د. إِحْسَان حَقي، الطبعة الثَّانِيَة، دَار النفائس – بيروت، ١٤٠٣هـ) ص ٨٧.**

(١٥) **طعيمة، صابر، التَّارِيخ الْيَهُودِيّ الْعَام ، (الطبعة الثَّانِيَة، ١٤٠٣هـ – دَار الجيل، بيروت) ص ٩٨.**

([١٦]) الجزيري: المقصد المحمود ص٨٠

([١٧]) اليعقوبي، في الفكاكة والفكاكين ص ٦٢.

([١٨]) ميسوم، تأثير الموشحات في التروبادور،ص:١٨٢.

([١٩]) **ظاظا، حسن ،أبحاث فِي الْفِكر الديني الْيَهُودِيّ ، (الطبعة الأولى دَار الْقَلَم، بيروت، ١٤٠٧ هـ) ص ١٣٢.**

([٢٠]) الغزال، أحمد مهدي، نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد"رحلة الغزَّال وسفارته إلى الأندلس"،(حققه وقدم له إسماعيل العربي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٠م).ص:٣٥.

([٢١]) الغزال، نتيجة الاجتهاد.ص:٣٥.

([٢٢]) نوازل بن الحاج، أطروحة محمد الأمين بلغيث، ص:٢٩٣-٢٩٤.ينظر: الملحق رقم:١٠.

([٢٣]) البيذق، اخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين ،(آخراج: بروفنسال باريس/١٩٢٨) ص٢١.

([٢٤]) المراكشي ت ٦٤٧هـ ، عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان(القاهرة ١٩٦٣م)ص١٩٨.

([٢٥]) الاصفهاني، أبو الفرج، الاغاني ١٠٤/١٥؛ اشباخ ، يوسف، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين (القاهرة ،١٩٥٨م/ط٢) ص٣١٤.

([٢٦]) ينظر الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ص١٦٢.

([٢٧]) إبن خلدون : العبر ٩٩/٦.

([٢٨]) إبن خلكان: وفيات الاعيان٢٣٨/٣

([٢٩]) إبن المعتز: طبقات الشعراء٧٠؛ الحميري:الروض المعطار، ص١٢٦

([٣٠]) البكري:معجم ما أسنعجم، تحقيق: مصطفى السقا(القاهرة-١٩٤٥م)ص٧٦.

([٣١]) إبن قتيبة :الشعر والشعراء٧٢

([٣٢]) الحميري:الروض المعطار، تحقيق: احسان عبأس(لبنان،مكتبة لبنان١٩٨٤/ط٢)ص٦٠٩

([٣٣]) إبن قتيبة :الشعر والشعراء٧٦

([٣٤]) ابن الأثير :الكامل ٢/ ٢١٢

([٣٥]) الخالدي ، خالد يونس ، اليهود في الدولة العربية الاسلامية (مطبعة دار الارقم ، فلسطين ، غزة)ص ٨٩

([٣٦]) المسيري ، عبد الوهاب ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ٣ / ٨٧

Conclusion:

It turns out that the Jews were brought, of whom was special to serve the harem, from France, especially from Verdun

The importance of the Jews during the opening of the Andalusian cities and received a large penalty for this act, where the Jews settled before the conquest, and the safest at the opening or after, or entered after the conquest and the safest.

And found that the Jews enjoy some kind of independence and built this independence on the document dates back to the days of Omar bin al-Khattab, a document sent by the commander Abdul Rahman bin Ghanem to Omar ibn al-Khattab (Rez)

The Jewish component remained active in various economic spheres, but it also had a great political influence, especially in the major positions of the state.

Since ancient times, as the researchers concluded, most of the researchers were a group of mediators in international trade that linked West African and European goods during this period of the Almoravid era, allowing them to monopolize critical points and land and sea trade routes.

It was found that the Jews in Andalusia lived a period of influence throughout the Arab-Islamic community, because they mastered Arabic as well as their Hebrew language, so they contributed to enriching the Arab cultural heritage and enriched their Hebrew and scientific heritage with the emergence of geniuses in the culture of both languages. They lived a golden Jewish era between 711 and 1066, but they were considered to be taxpayers and they lived in ghettos, which were reserved for Jews, protected by strong succession.

University of Qadisiyah
Faculty of Arts

Jews
in Andalusian society

Preparation
Assistant Professor
Jawad Kadhum Shayeb